

أدب السخرية من اللغة إلى الرسالة - وصف وتحليل مجمع الأمثال للميداني أنموذجا

Irony from Language to Message

Ankhology of Proverbs by el Meidani as an Example

عمار سامي*

تاريخ القبول 2018/01/12

تاريخ تقديم البحث 2018/01/02

Abstract

This research deals with the problem of ironies from language to message. This research contains the following elements:

- Irony in Arabic Dictionaries .
- Irony in The Koran.
- Irony for the ancient people .
- Instances of ironies in the works of el eldjahidh .
- Is irony a literary genre?
- Irony in the Arabic proverbs .
- Characteristics of irony in the Arabic proverbs .
- Exemples of irony in the Arabic proverbs .

ملخص

يتناول البحث موضوع أدب السخرية من كونها لغة إلى وظيفة الرسالة في المجتمع. وقد تضمنت العناصر التالية: - مقدمة .

- السخرية في المعاجم العربية .
- السخرية في القرآن الكريم .
- فن السخرية عند القدامى .
- موضوعات السخرية في أدب الجاحظ .
- هل السخرية إلا نوع من أنواع اللغة الأدبية ؟.
- السخرية في الأمثال العربية .
- من سمات السخرية في الأمثال العربية .
- تطبيقات من السخرية في الأمثال العربية . ثم الخاتمة والنتائج .

Keyboard: Irony - Language --Message -- Proverbs – literary genre -- characteristics - Exemples

الكلمات الدالة: أدب السخرية - اللغة - الرسالة - الأمثال العربية - السيمات - تطبيقات .

* قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر 2، الجزائر .

مقدمة

كان علي من البداية الفصل في دلالة مصطلح السخرية مع تتبع صيغ اشتقاقته ومواقع استعمالته العربية، ذلك لتبيان دلالاته والكشف عن معناه المميز، ولينطلق البحث من بداية سليمة، خصوصا وأن الذي يقرأ ما كتبه بعض الباحثين في عنصر تحدييدات يلمس ذلك التداخل المصطلحي و المفهومي عندهم بين السخرية والضحك و التهكم و الهزوء والاستجهاال الاستخفاف و..، وربما وضعها في صف المترادفات من غير تدقيق بياني و لا فحص لغوي و لا رجوع بالكلمة إلى أصل معناها . وهنا أجدني مستنطقا المعاجم العربية للمسك بناصية الدلالة اللغوية لهذه المصطلحات التي يظن أنها من المترادفات . وقديما قال اللغوي الكوفي أبو العباس ثعلب : (ما يظن من المترادفات هو من المتباينات)(1).

السخرية في المعاجم العربية :

جاء في مقاييس اللغة لأحمد بن فارس : سخر، السين والخاء والراء أصل مطرد مستقيم يدل على احتقار واستدلال ، من ذلك قولنا : سخر اللع تعالى الشيء وذلك إذا ذلله لأمره وأرادته ، قال تعالى : (سخر لكم ما في السماوات والأرض جميعا منه) (2) . ويقال : رجل سخرة (بضم السين وتسكين الخاء): يسخر في العمل ، وسخرة إذا كان يسخر منه ، فأن كان هو يفعل ذلك ، قلت : سخرة (بفتح الخاء و الراء) . يقال : سفن سواخر مواخر ، فالسواخر المصبغة الطيبة الريح ، و المواخر التي تمخر الماء : تشقه . ومن الباب سخرت منه ، إذا هزئت به . ولا يزالون يقولون : سخرت منه . وفي كتاب الله (فإننا نسخر منكم كما تسخرون)(3) (4) (مقاييس اللغة ج3 ص144 دار الفكر)

وجاء في معجم مفردات القرآن للراغب الأصفهاني : سخر: التسخير سياقة إلى الغرض المختص قهرا ، قال تعالى : (سخر لكم ما في السماوات والأرض) (5) ، وقتا : (وسخر لكم الشمس و القمر دائمين وسخر لكم الأنهار) (6) فالسخر هو المقيض للعمل . و السخري هو الذي يقهر فيتسخر بإرادته ، قال تعالى (ليتخذ بعضكم بعضا سخريا) (7) . وسخرت منه استسخرته للهزء منه ، قال تعالى : (إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم كما تسخرون) (8)، وقوله (بل عجبنا ويسخرون) (9) . وقيل : رجل سخرة -بضم السين وفتح الخاء - لمن سخر . وسخرة - بتشديد الخاء - لمن يسخر منه . و السخرية -بضم السين - و السخرية -بكسرهما - لفعل الساخر . وقوله تعالى : (فاتخذتموهم سخريا) (10) ، فقد

حمل على الوجهين على التسخير و على السخرية . وقوله تعالى : (وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار أتخذتموهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار) (11) ، ويدل على الوجه الثاني قوله بعدها : (وكنتم منهم تضحكون) (12) (13) . (الراغب ص 232-233).

وجاء في لسان العرب : سخر منه وبه سخرا -بفتح السين- وسخرا - بضم السين وفتح الميم - ومسخرا و سخرا - بضم السين وتسكين الخاء - وسخرة -بضم وتسكين - وسخريا - بكسر السين - وسخريا - بضمها - وسخرية : هزئ به ، ومنها قول الأعشى :

(إني أتتني لسان لا أسرها - من عدو لا عجب منها ولا سخر) . قال

الأزهري : وقد يكون نعتا ن لقولهم : هم لك سخري -بفتح وكسرالسين - وسخرية من ذكر - بتشديد الكاف- . قال : سخريا -بالضم- ومن أنث ، قال : سخرية . قال الفراء : يقال سخرت منه ، ولا يقال سخرت به . قال تعالى : (ولا يسخر قوم من قوم) (14) . وسخرت من فلان هي اللغة الفصيحة . والسخرة -بضم السين - الضحكة ، ورجل سخرة -بضم السن وفتح الخاء - : يسخر بالناس . وفي التهذيب : يسخر من الناس ... وسخرة -بالضم والتسكين - : يسخر منه ووقيل : السخري بالضم ، والسخري بالكسر من الهزاء . وقد يقال في الهزاء سخري -بضم وفتح السين - ، ...وأما السخرة - بضم السين - فواحدة مضموم . وقوله (فاتخذتموه سخريا حتى أنسوكم ذكري) (15) ، فهو سخريا من سخر ، والضم أجود . قال أبو زيد : سخرريا من سخر إذا استهزأ (16) . (لسان العرب ج 2 ص 115-114).

لعل أقل ما يمكن استخلاصه من هذه التحديدات اللغوية في المعاجم العربية أن هناك معنى واحدا رابطا وجامعا بين هذه الاستعمالات العربية الظاهرة وهو معنى الاستدلال والاحتقار ، ذلك أن العربية لغة اشتقاقية . وما تشابه من حروف الأصول بين فعلين إلا وكان هناك معنى جامع بينهما ، فمثلا بين سخر - بكسر الخاء- وسخر -بتشديد الخاء- فإن الجامع بينهما هو استدلال ، أي محتقر ، بحيث هو مسخر لخدمة الإنسان المكرم . ومعنى الاحتقار يصب في مدلول الفعل الذي يصنعه الإنسان . فالسخرية ليست من إنسان تجاه إنسان ، إنما هي من إنسان إلى فعل إنسان . فالفعل إذا كان دون المستوى أثار سخرية الناس ، أي صاروا يحتقرونه ويصفونه بالذلة . مع العلم أن السخرية إذا كانت من إنسان تجاه إنسان مهما كان ، ومن قوم تجاه قوم من دون سبب فهي غير محمودة ، وليست من أخلاق البر . قال تعالى : (ولا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن) (17) . فهو ركز على شريحة القوم وشريحة النساء لشيوع فعل السخرية

كثيرا في معاملاتهم، أي القوم مع القوم والنساء مع النساء ، إذ قد يفتح باب الفتنة عريضا ، وربما قد يؤدي إلى إيقاد نار حرب تأتي على الأخضر واليابس . وهذا قد حصل كثيرا في حياة العرب الجاهلية ، وقد أظهره بشكل لافت ديوانهم في الأشعار والأمثال و الخطبومنه قول قائلهم : الفرزدق لجربير:

(ضربت عليك العنكبوت بنسجها - وقضى عليك به الكتاب المنزل) (18) .

ولعل الجامع بين الفعلين (سخر بتشديد الخاء ، وسخر بكسرهما) هو :

1- هو الإذلال الموجب بالكائنات و المخلوقات لصالح الإنسان ، كالبحر والفلك و الأرض و السماوات وما فيها ، ويتحدد في علاقة الأنسان بالكون وعناصره ، فهو تسخير له من الله ، وهو المنبعث من التسخير.

2- الإذلال المنبعث من السخرية ، ويكون من الإنسان تجاه فعل الإنسان غير السوي ، أي كان نوع الفعل الموجب للسخرية . وهو يقتضي ترفعا واستعلاء عن فعل وضيع ، فالترفع والاستعلاء من الساخر ، والوضع والاستفال من المسخور منه .

السخرية في القرآن الكريم :

تعددت النصوص في القرآن الكريم التي ذكرت كلمة السخرية ، وأوردتها بصيغ متنوعة ، إما بالفعل وإما بالاسم . فالفعل في قوله تعالى : (الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دآيين وسخر لكم الأنهار .. وآتاكم من كل ما سألتموه ...) (19) (إبراهيم 31-32) .

والتسخير هنا هو التذليل لتكون في خدمة الإنسان ومنفعته ومصالحته ، كقوله (والنجوم مسخرات بأمره) (20) ، أي على عظمتها فهي مذلات لخدمة الإنسان ومنفعته ، من غير احتقار ولا امتهار للشيء المسخر للإنسان .

وقال تعالى في موضع آخر (الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره و لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) (21) (الجاثية 11-13).

و التسخير في الآية هو التذليل لخدمة الإنسان ومنفعته ومصالحة حياته من غير امتهان ولا احتقار للمسخر من سماوات وأرض وبحر وجبال وفلك وغيرها . فالسخرية بين الإنسان والكائنات تعني التذليل من غير احتقار ولا امتهان للمسخر (بفتح الخاء) .

أما السخرية من الإنسان إلى الإنسان فتعني الاحتقا والإذلال الذي هو من الذلة ، وهذا فعل غير محمود ، لذلك نهى عنه القرآن الكريم بقوله : (ولا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن) (22) (الحجرات) .

وفي مقوله نوح عليه السلام لقومه الساخرين منه والكافرين برسالته وهو يصنع الفلك ، (ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا قال إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم كما تسخرون) (23) (هود38) . قال الزمخشري : (سخروا منه) ومن عمله السفينة ، وكان يعملها في بيرة بهماء في أبعد موضع من الماء ، وفي وقت عز الماء فيه عزة شديدة ، فكانوا يتضحكون ، ويقولون له : يا نوح صرت نجارا بعد ماكنت نبيا . (فإننا نسخر منكم) يعني في المستقبل (كما تسخرون) منا الساعة ، أي نسخر منكم سخرية مثل سخرتكم إذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة . وقيل : إن تستجهلوننا فيما نصنع فإننا نستجهلكم في استجهالكم ، لأنكم لا تستجهلون إلا عن جهل بحقيقة الأمر وبناء على ظاهر الحال ، كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقيقة (24) . (الكشاف ج2 ص 268) . فالسخرية عند الزمخشري هي في معنى استجهال فعل الفاعل . وفي الاستجهال تصغير للفعل واحتقار له واستدلال ، والفعل مرتبط بفاعله في كل الأحوال حسنهما وقبيحهما .

وهنا نجد أن صورة (سخر) و (سخر بتشديد الخاء) و (السخرية) تشبه إلى حد صورة (ذلة) كما في (ذلل) بتشديد اللام الأولى ، و (ذل) التي تفيد مضمونها . فالأولى تفيد التذليل من غير احتقار ولا امتهان ولا استجهال على لغة الزمخشري ، لأن الإنسان هو في تعامله مع مخلوقات سخرت له تكريما . فلا معنى للامتهان والاحتقار والضحك في هذا المقام .

والثانية تفيد الذلة مع الاحتقار والاستهزاء بفعل الفاعل ، لأنه في النظر فعل شائن غير محمود ، فيستوجب الاستجهال والامتهان والتحقير . وفي بيان هذه المعاني يقول الراغب الأصفهاني في التذليل : ذل : الذل ما كان عن قهر ، يقال : ذل يذل ذلاء . والذل – بتشديد الذال وكسرهما – ما كان بعد تصعب وشماس من غير قهر . يقال : ذل يذل ذلا . وقوله (واخضض لهما جناح الذل من الرحمة) (25) ، أي كن كالمقهور لهما . وقري (جناح الذل) بكسر الذال ، أي لن وانقاد لهما . يقال : الذل و القل و القلة – بفتح الذال وضم القاف

وكسر قاف القلة- قال تعالى : (ترهقهم ذلة) (26) ، وقال : (ضربت عليهم الذلة والمسكنة) (27) و (سينالهم غضب من ربهم وذلة) (28) . وذلت الدابة بعد شماس ذلا ، وهي ذلول ، أي ليست بصعبة . قال الله تعالى : (لا ذلول تثير الأرض) (29) . والذل ما كان من جهة الإنسان نفسه لنفسه فمحمود ، نحو قوله (أذلة على المؤمنين) (30) و (فاسلكي سبل ربك ذللا) (31) و (ذللت قطوفها تذليلا) (32) ، أي سهلت . وقيل : (الأمور تجري على إذلالها) ، أي مسالكها وطرقها (33) . (الراغب ص 182-183) .

فن السخرية عند القدماء :

كانت السخرية قبل عصر الجاحظ أبي عثمان تأتي عفوية تارة ومقصودة لغرض من الأغراض السياسية تارة دون أن تقوم بالتحليل و التشخيص و التصوير لإبراز خصائص المجتمع ، ولم يثبت أن صنع لها مؤلفا خاصا قبل الجاحظ (255هـ) . ومن الآثار في السخرية قبل الجاحظ من دون أن ترقى إلى مؤلف مخصص في فنها كتاب (الأكلة) للمدائني ، حيث كان أسلوبه إخباريا في نوادره ، وكتاب (لصوص العرب) لأبي عبيدة ، حيث كان على شاكلة سابقه وعلى نمطه . أما أبو عثمان الجاحظ فكان في رأي كثير من الأدباء والنقاد أول مؤلف في تاريخ أدب السخرية دراسة وتحليلا للمجتمع ، وقد فعل ذلك في كتابه (البخلاء) وفي رسالته (الترييع والتدوير) (34) . (السخرية في أدب الجاحظ – السيد عبد الحلیم محمود حسين ص 93- دار النشر الجماهيرية 1988) .

ولما كانت السخرية ليست معطاة لكل الناس ، إنما هي مهداة لخاصتهم ، فقد تعددت العوامل التي جعلت من الجاحظ أديبا ساخرا مميّزا جعل من السخرية فنا قائما بذاته ، ومن العوامل العامل الوراثي و عامل المجتمع و البيئتين الفكرية والعامة .

و تتطلب السخرية في الأديب الساخر الطبيعة المرحة و الخبرة النقدية الواسعة ، بحيث يقدم على معالجة المشكلة بالضحك . والمتأمل في منجز الجاحظ يستنتج أنه لا يسخر من منطلق مزاجه العاطفي ، بل هو يوظف السخرية لمواجهة خصومه . فهو يسخر من كل سلوك خالف قواعد مجتمعه ، لذلك صارت تسري في كل كتاباته .

موضوعات السخرية في أدب الجاحظ :

ومنها : العيوب الجسمية والمظهرية ، وغرابة الطباع ، والبخل ، والنفاق ، والجحود ونكران الجميل ، والبلادة والإهمال ، والقصور العقلي وما نتج عنه من الحمق والجهل والغفلة والتناقض والتزييف في التمثيل.

ومن نماذج الجاحظ سخريته من أهل المرو كما عرف عنهم بالبخل الشديد : فيقول : ويروى أنه قيل لتمامة : أي الناس أبخل ؟ فقال : لم أر الديكة في بلدة قط إلا وهي لاقت يأخذ الحبة بمنقاره ، ثم يلفظها قدام الدجاجة إلا ديكة مرو . فإني رأيت ديكة مرو تسلب الدجاج ما في مناقرها من الحبوب . قال : فعلمت أن بخلهم شيء من طبع البلاد ، وفي جوهر الماء ، فمن ثم عم جميع حيواناتهم (35) . (كتاب البخلاء ج1 ص 46 دار الكتب المصرية).

وقد كان لفن السخرية عند الجاحظ أثر في الفعل الأدبي فيمن جاء من بعده ، مثل ابن قتيبة في كتابه (عيون الأخبار) حيث يقول : (سينتهي بك كتابنا هذا إلى كتاب المزاح والفكاهة) (36) (السخرية في أدب الجاحظ ص 102) . وأبو حيان التوحيدي الذي احتذى مذهب الجاحظ في كل شيء مشيراً بقوله : (إن النفس تمل كما أن البدن يكل ، وكما أن البدن إذا كل طلب الراحة ، فكذلك النفس إذا ملت طلبت الروح) (37) (السخرية في أدب الجاحظ ص 113).

وقد أمتد هذا الأثر العميق إلى العصر الحديث ، حيث وجدنا نخبة من الأدباء الكبار ممن مسهم أثر الجاحظ في هذا الفن الجميل ، من أمثال طه حسين والعقاد ومصطفى صادق الرافعي وأحمد حسن الزيات والمازني وأحمد أمين . وهو ما جعل هذا الأخير يقول : (إن الطبيعة عودتنا أن نجعل لكل باب مفتاحاً ولكل كرب خلاصاً ولكل عقدة حلاً ، ولكل شدة فرجاً . فلما رأيت الإنسان يكثر من الهموم ، ويخلق لنفسه المشاكل والمتاعب ، أوجدت لكل ذلك علاجاً فكان الضحك) (38) (المرجع نفسه ص128)، ويقول في موضع آخر : (و الطبيعة ليست مسرفة في المدح ، فلما لم تجد للحيوانات كلها هموماً لم تضحكها ، ولما وجدت الإنسان وحده هو المهموم جعلته وحده هو الحيوان الضاحك) (39) (المرجع نفسه ص129) .

وأدب الجاحظ في الحقيقة هو مزيج من أدب الفرس وحكمة الهند وفلسفة اليونان ، لذلك غزر علمه ووضح بيانه . (ابن التديم ، مؤلفات الجاحظ 170- البخلاء و الحيوان

والبيان والتبيين ورسالة الترييع والتدوير .. وهي في أغلبها سخرية من العادات والتقاليد عشعشت في عصره بصورة كبيرة ، فكان يتخذ أسلوب الفكاهة و المرح في التعليق عليها ودحضها . (40)

السخرية فعل تعبيرى عن القضايا التي تثير الانتقاد في المجتمع بلغة ساخرة ملؤها الضحك و المزاح لمقصد الاستهجان و الامتهان ، فيسعى الأديب الساخر إلى نقل سلسلة أفكاره بأبسط الطرق و أسهلها لتحقيق الغرض . و الذي يلزم المقابلة و الموازنة بين النقائض ، كالمحسن و المساوى و الجمال و القبح و السمعة و الحسنة و نقيضتها و الموت و الحياة وغيرها . حيث يحكي قلم الأديب الساخر عن سيف حاد يقطع رقاب الآلام و الأوجاع و الذلة و النفاق و الرياء ، و يكشف عن ظلم الظالمين و يشفي بذلك غليل المظلومين.

ومن هنا فالسخرية تقدم صورة هجائية عن الجوانب القبيحة و السلبية للحياة، كما تصور معائب المجتمعات و مفاسدها و حقائقها المرة بإغراق شديد ، حيث تظهر تلك الحقائق المرة أكثر قبحا و مرارة ، لتبين خصائصها و مميزاتا بشكل أكثر وضوحا ليتجلى التناقض العميق بين الوضع الموجود و الحياة الكريمة المرجوة . وهكذا يجادل قلم الساخر كل قديم ميت متأخر ، وكل ما يمنع عن التقدم و الرقي دون عفو و إغماض(41) .

إن السخرية تجعلنا نتعرف على الإنسان الساخر وعلى المسخور منهم ، وهي لا تهدف إلا إلى هذه الغاية . كما أن السخرية توقض الناس من سباتهم العميق ، و تقدم تعريفا عن طرق الصراع الذي أصيب بسهام غضب الساخر ، لأن الغاية الكبرى من السخرية هي تحقيق الوعي و إيجاد اليقضة . (السخرية لغتها و أشكالها و دوافعها بquam أبي القاسم رادفر بتاريخ 29 كانون الثاني يناير 2011--الدخول 13-11-2016).

ويتطلب الفعل السخري دوما من فاعله هدوءا و اطمئنانا بعيدا عن كل تهريج أو مجون وغيرها من الأخلاق المخلة (42) .

ولعل من صفات لغة السخرية بعدها عن الغموض و انصافها بالعدوية و الوضوح و القابلية للفهم و استخلاص المدلول بسرعة . وهذا ما يسهل للناس التعرف على نقاط الضعف و القصور لتحويلها إلى مشاكل يجب حلها . وقد قالوا : عندما يعجز الجد عن البيان تسارع السخرية في التعبير . و السخرية خليط للعدوية و المرارة ، حيث تكمن عدويتها في الطرافة

،وتتجلى مرارتها في الانتقاد . وهذا يعني أن السخرية هي تعبير للانتقادات المرة البناءة بلغة عذبة فيها الكناية و الضحك (43) . (السخرية لغتها وأشكالها ..)

كما يمكن اعتبار السخرية انتقادا ممتزجا بالاستهزاء ، وهو نوع من الانواع الأدبية ، حيث يتم التعبير عنه بالتعريض وبشكل غير مباشر. (المرجع نفسه ..)

وقد أحسن خلاصة بيانها أحد الباحثين حين قال : و السخرية هي بيان للردائل الخلقية للفرد أو المجتمع بأسلوب ساخر، وبإشارة القرائن البعيدة والقريبة ، وبالظن الصائب والاستدلال المستقيم ، وهي تصويب لشفرة سيفها الحاد بكل جرأة وشجاعة ودراية نحو المجتمع المريض وسقمه العام (44). (السخرية في الأدب العربي) .

هل السخرية إلا نوع من أنواع اللغة الأدبية ؟؟

وقد أحسن بيان الجواب صاحب مقال السخرية في الأدب العربي حين قال :

تعد السخرية من الأنواع الأدبية ، وهي طريق للتعبير عن الجوانب الانتقادية و النقائص المجتمعية بلغة ممزوجة بالضحك الناتج عن الآلام و المضايقات . فلغة السخرية هي نوع من أنواع اللغة الأدبية ، والأديب الساخر بتداعياته السخرية يجمع الكلمات و التراكيب المناسبة أو غير المناسبة لتجذب وتدفع بعضها إلى بعض ، كالألوان في الرسوم و الأصوات في الموسيقى (45) . (المرجع نفسه) . ثم يتابع بقوله :

و السخرية لغة ناطقة للغالبية الصامتة . و السخرية لها مذاقان ، فهي مرة سامة من داخلها و حلوة لذيدة من خارجها . وهي طريق خطير في الكتابة ، إذ ليس من اليسير معرفة مدى الإبهام المستخدم فيها لتهدئة الغضب . إنها نتاج أدبي ينتقد التصورات والتعاليم الاجتماعية في المجتمعات البشرية باستخدام النكتة ، والعكس و الغضب و النقائص .

و التجربة تدعو إلى التفكير ، وحققتها غامضة . وبالرغم من طبيعتها المضحكة ، فإنها تستخدم الضحك أداة لنيل الغايات العليا ، لتلفت الناس إلى عمق الرذائل (46) . و خلاصتها

أن السخرية تعني البكاء بقهقهة الضحك ، وتعني الضحك بعويل البكاء .

السخرية في الأمثال العربية :

تأخذ السخرية مكانة كبيرة في الأمثال العربية ، وتكاد تحكم على أنها فن خرج من رحم الأمثال ، لأنها نشأت وبرزت وغازت في حقله الواسع. وكانت الغاية منها إبراز الجوانب الأخلاقية السلبية الضارة بالفرد والمجتمع معا ، ومنها أخلاق الغش و اللامبالاة و الكسل والبخل والنفاق و التكبر والظلم و الخيانة والحسد و البغض والقتل و الكذب والزور و التحايل وغيرها .. وتبقى السخرية هي الأسلوب الأمثل والفن النبيل في مواجهة العفونات الأخلاقية والاساخ السلوكية الانحرافات المعاملاتية و الآفات الاجتماعية والأزمات الاقتصادية والمخدرات السياسية والانقلابات العسكرية في كل مجتمع من مجتمعات الدنيا ، إذ الحق واحد والباطل متعدد ، قال تعالى : (الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا هم برهم يعدلون) (47) (الأنعام) .

من سمات لغة السخرية في الأمثال العربية :

من أظهر السمات اللغوية مايلي :

- تجانس المفردات مع المفاهيم الاجتماعية والثقافية والسياسية والأخلاقية .
- ورود طائفة من المحسنات اللغوية اللفظية .
- ورود عدد من الخصائص اللسانية ، كالتضاد والاشتراك والإيهام ، وذلك لورود عدد من الصور البيانية ، كالمجاز التشبيه والاستعارة والكناية و التمثيل .
- ليصل منها الأديب الساخر إلى النتائج المرجوة .

ذلك أن الأديب الساخر يستخدم لغة مناسبة للحال والمقام ، لأن قلبه في هذه الحال هو عامر بالألام و ممتلئ بالأوجاع التي جرعه بها المجتمع ، فامتلاً قلبه إلى مشاشه . كما أنه يعبر عن رأيه بلغة بسيطة موجزة دون حاجة إلى التصنيع و الترتيب والجناس . كما يلجأ إلى الجناس في بعض الأحيان للإغراق و المبالغة . كما يوظف أنواع التشبيهات و الاستعارات ، وخاصة الاستعارة التهكمية و التمثيل والتضاد بالأخص الكناية و أقسامها كالتعريض و التلويح و الرمز والإيماء و الإيهام .. وغيرها من المحسنات التي لا يغفل عنها الأديب الساخر الذي يمتلك المهارة والخبرة (48) .

- ولعل من أبرز سماتها الهروب من الواقع ، ذلك أن لغتها لا تصور العالم الخارجي كما هو ، بل تستفيد...الهروب من الواقع . فواقع العالم الخارجي في لغة السخرية إما أن يرافقه التكبير أو يرافقه التصغير . (49) (المرجع نفسه).

ومن سمات نجاحها :

- الهجاء في معرض الدم .

- الدم الشبيه بالمدح .

- الصداقة الممزوجة بالصفاء .

- الإيمان برسالة القلم .

- بعد عن الدوافع الشخصية .

- البعد عن الدوافع النفسية .

- البعد عن القبح في التعبير(50)

القسم التطبيقي في الأمثال العربية :

ربما كان المثل لغة اختصرت حدثا ، أو قل هو تركيب لغوي صور فعلا إنسانيا حقيقيا في زمن مخصوص . وربما غلب في الحدث معنى السلوك الإنساني ، ذلك أن غالبية الأمثال تصنعها سلوكات الناس في الحياة ، كما يشمل المثل منها الإيجابي والسلبي معا .

وتأتي الأمثال في الحياة لبيان العقدة الثابتة في سلوك الناس في كل زمان ومكان . إنها عقدة الأخلاق والسلوك المتكررة في الإنسان . فمنظومة القيم هي واحدة في الناس في كل زمان ومكان ، إذ الإنسان مفلطور على حب الخير وبغض الشر ، قال صلى الله عليه وسلم : (كل مولود يولد على الفطرة فإذا أبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه) (51) . وهي سنة فطرية عامة في كل إنسان يولد في هذه الحياة . قال تعالى : (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) (52) . والإنسان يعيش في حياته صراعا دائما بين الخير والشر ، فتارة يغلب خيره شره وتارة أخرى يغلب شره خيره . قال تعالى : (وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي) (53) ، وقال : (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) (54) ، و (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) (55) . ولما كانت

الفطرة واحدة ، كانت السلوكات متشابهة في الناس عبر الزمان ، فكأنها نفس الأحداث في صور بشرية متعاقبة ، أو قل فكأنها منظومة أخلاقية ثابتة في بشر متغيرين . وهنا يصبح المحتوى (الخلق) ثابتا ، والصيغة (الإنسان) متغيرة .

وقد ألفنا في الدرس اللغوي أن الصيغة ثابتة و الدلالة متغيرة...وربما قد يحير هذا الأمر الناظر اللغوي ؟ والصحيح أن الإنسان في ذاته هو صيغة ودلالة ، أما الصيغة فهي هندامه وشكله وصورته ، أما الدلالة فهي أخلاقه وأفعاله وسلوكه . فالأول ثابت والثاني متغير لذلك بانته صورة أخلاق وسلوك تتكرر وتعاد مع الزمن في أشخاص متغيرين . فكأن الأمر يقول بسنة الثابت والمتغير . والأخلاق فعال و الفعال أحداث ، وتسلسل الأحداث هو التاريخ .ومنه قالوا : التاريخ يعيد نفسه ، والسلوك يعود في شخص جديد مع الزمن .

-- صيغة لغوية صورت سلوكا متحركا --

والصيغة اللغوية هذه هي التعبير الأول عن الحدث الحقيقي ، فهي كالعقاب التركيبي الثابت ، نوظفه كلما تجدد السلوك من دون النظر إلى صاحبه . والمثل شديد الارتباط بالطبيعة و العالم الخارجي كونهما مصدرى المعرفة الإنسانية و التكنولوجية في كل زمان . وربما بهذا الأمر كانت نظرية المحاكاة و الطبيعة في بيان أصل اللغة هي أقرب صحة عند ابن جني من غيرها من النظريات الأخرى . ومن هنا يمكن اعتبار المثل صيغة لغوية ثابتة ذات دلالة كلية مفتوحة تجسد سلوكا متكررا في إنسان متغير . ويمكن القول بعد هذا أن المثل هو تصوير لغوي ثابت لقيمة إنسانية متكررة . فهو مرتبط بالعيان ارتباطا ، فهو نسيج لغوي من واقع حقيق . وهذا الذي يسمونه بالموارد ، فإذا عاود إنسان آخر السلوك نفسه سموه مضرب . ومنه جاءت صيغة مضرب الأمثال ، ومنه جاء في القرآن الكريم (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) (56). والقرآن الكريم وظف صيغ المثل في أكثر من موضع للأهمية القصوى . جاء في بيان المثل عند الراغب الأصفهاني : و المثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابة ليبين أحدهما الآخر ويصوره ، نحو قولهم : (الصيف ضيبت اللبن) ، فإن هذا القول يشبه قولك : (وأهملت وقت الإمكان أمرك) . وعلى هذا الوجه ما ضرب الله من الأمثال فقال (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) ، وفي أخرى (لعلمهم يتفكرون) . و المثل يقال على وجهين أحدهما بمعنى المثل نحو شبهه وشبهه ونقص و نقص ، و الثاني عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني ، أي معنى كان ، وهو أعم الألفاظ الموضوعية للمشابهة . وذلك أن الند يقال فيما يشارك في الجوهر فقط ، و الشبه

يقال فيما يشارك في الكيفية فقط . و المساوي يقال فيما يشارك في الكمية ، والشكل يقال فيما يشاركه في القدر والمساحة فقط ، والمثل عام في جميع ذلك . (57) (المعجم 481-482).

وظف القرآن الكريم المثل في أكثر من أربعين موضع أحصاها ابن الجوزي في كتابه المدهس .(تفسير ابن كثير) . والأمثال جمع مثل ، والمثل و المثل كالشبه و الشبه و الشبيه لفظا ومعنى ، والتمثيل يبرز المعاني في صورة حية تستقر في الأذهان بتشبيه المعقول بالمحسوس ، وقياس النظير على النظير . وكم من معنى جميل أكسبه التمثيل روعة وجمالا ، فكان ذلك أدعى إلى تقبل النفس له و اقتناع العقل به . وهو من أساليب القرآن الكريم في ضروب بيانه ونواحي إعجازه ، وعادة العرب استعمال الأمثال لأنها أبلغ في توصيل المطلوب إلى السامع ، وعندما جاء القرآن الكريم تحدى العرب ببلاغته الخاصة . فإن للقرآن بلاغة خاصة لا يدركها إلا العارف بأسرار اللغة العربية (58). (في تاريخ 28-11-2016).

الإحصاء : السورة ، عدد المرات :

- البقرة 9 - آل عمران 2- الأنعام 1- الأعراف 1 - يونس 1 - هود 1 -
- الرعد 2 - إبراهيم 3 - النحل 3 - الكهف 2 - الحج 2 - النور 3 - الروم
- 1 - الزمر 1 - محمد 1 - الفتح 1 - الحديد 1 - الحشر 1 - الجمعة 1
- التحريم 2 -

فوائد الأمثال :

وكان لإمام البلاغة عبد القاهر الجرجاني قول، في غاية الأهمية في بيان فوائدها في القرآن الكريم ، حيث يقول : (اعلم أن مما اتفق عليه العقلاء أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني ، أو أبرزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورها الأصيل إلى صورته كساها أمية ، وكسبها منقبة ، ورفع أقدارها ، وشب من نارها ، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ، ودعا القلوب إليها ، واستثار من أقاصي الأفئدة صباة وكلفا ، وقسر الطباع على أن تعطى محبة وشغفا .

فإن كان ذما ، كان مسه أوجع و ميسمه ألذغ ، ووقعه أشد ، وحده أحد .

وإن كان حجتجا ، كان برهانه أنور وسلطانه أقهر وبيانه أظهر .

وإن كان اعتذارا ، كان إلى القبول أقرب ، وللقلوب أخلص ، وللسخائم أسهل ، ولغرب الغضب أقل ، وفي عقد العقود أنفث ، وحسن الرجوع أبعث .

وإن كان وعظا ، كان أفي للصدر ، وأدعى للفكر ، وأبلغ في التنبيه و الزجر ، وأجدر أن يجلي الغيبة ويصبر الغاية ، ويبرئ العليل ويشفي الغليل . (59) (أسرار البلاغة ص 101-102).

ويقول إبراهيم النظام : (يجتمع في المثل أربع لا تجتمع في غيره من الكلام ، إيجاز اللفظ وإصابة المعنى و حسن التشبيه و جودة الكناية .)(60) (الأمثال في القرآن –محمد شاهد يامين –الدخول 2016-11-28-)@said.net(miskoo-moh)

الجانب التطبيقي -

جانب السخرية في المثل العربي :

للمثل أي مثل مورد ومضرب ، فالمورد هو مقام ميلاد جملة المثل ، أي مقامه الأصلي والأول . أما المضرب فهو مناسبة ضرب المثل إذا تشابهت علة الضرب مع علة المورد .

فصيغة المثل هي قياس ، والقياس حمل الفرع على الأصل لعله شبه بينهما . والمثل تشبيه ، والتشبيه مشبه ومشبه به و علة شبه ، فجواز التشبيه في هذه الحال هو قائم على توافق علة بينهما (المشبه والمشبه به) ، أو قل توافق بين الأصل والفرع من جهة العلة . كما تقول: قياس النبيذ على الخمر لعله السكر ، فالخمر حرام لأنه مسكر ، والنبيذ مسكر ، إذن هو حرام ، وهذا هو القياس الشرعي . ويقترّب من هذا التحليل المثل العربي خاصة والأمثال في الأمم الأخرى عامة . وربما قد يلاحظ على الأمثال العربية جملة ملحوظات قد تقود الذهن والفكر والتأمل إلى التخصيص ، وهي :

- ارتباط المثل بالبيئة (أدوات و إنسان و حيوان وغيرها) .

- المثل صيغة توظف أدوات الطبيعة و الإنسان و الحيوان ..

- المثل صيغة لغوية فصيحة تسرد حسب مقامها ، والمقامات متعددة ومتنوعة ومفتوحة ، إذن فهي ليست على نمط لغوي واحد .

- المثل صيغة ثابتة ومحتوى متغير .

- نواة المثل هو التشبيه لأداء معنى وبيان غرض . واللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم . والأغراض مفتوحة كإفتاح المقامات ، يقول الإمام السكاكي في ذلك : (إن مقامات الكلام متفاوتة ، فمقام الشكريبين مقام الشكاية ، ومقام الشكريبين مقام التعزية ، ومقام المدح يبين مقام الذم ، ومقام الترغيب يبين مقام الترهيب ، ومقام الجد يبين مقام الهزل ، وكذا مقام الكلام ابتداء يغير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار ، ومقام البناء على السؤال يغير مقام البناء على الإنكار ، جميع ذلك معلوم لكل لبيب ، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغير مقام الكلام مع الغبي ، ولك من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر ، ثم إذا شرعت في الكلام فلكل كلمة مع صاحبها مقام ، ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام ...) (61) (مفتاح العلوم ص 73).

- سمة السخرية في المثل العربي نستشفها من صيغة التشبيه ونوعية المشبه به ، كالتشبيه بالحيوان والطيور والزواحف والجمادات ...

--1-- (أشأم من براقش) --

وبراقش اسم كلبة نبحت جيشا كان قصد قومها وخفي عنهم مكانه ، فلما نبحت عرفوه ، فعطفوا عليها واجتاحوه ، فقالت العرب : (أشأم من براقش) . فصارت الجملة مثلا يضرب في كل مقام وسلوك غبي يجر إلى هلاك وضرر في الأهل . وقد يصب معناه أيضا في صيغة الثانية أخرى اشتهر بها المثل وهي : (على أهلها جنت براقش) .

وقد تلمس فيه سمة السخرية من الفعل الغبي الذي يجر التهلكة والضرر على أهله ومجرد التشبيه بفعل براقش يحمل ضمينا معنى من معاني السخرية .

والتشبيه بصورة براقش (الكلبة) فيه وصفة السخرية . ويضاف إليها أن اختيار صوتيات التسمية التي فيها الباء والراء والقاف والشين بما تحمله من صفات الانفجار والترعيد والقوة والتفشي التي تشكل ثقلا في النطق بها وهندسة صوتية غير منسجمة هي أقرب إلى الفوضى والتنافر والثقل منها إلى التناسب والخفة والانسجام هي مدعاة إلى السخرية الصوتية . ما يفيد أن معاني السخرية قد تستخلص من كل مستويات التحليل اللغوي ، وأساسها المستوى الصوتي ، فالإفرادي ، فالتركيب .

---2-- ((بقبقة في زقزقة)).

قالوا : البقبة هي كثرة الكلام و الصخب ، و الزقزقة الضحك .فصار مثلا يضرب للمفتخر بما ليس عنده ، أو الذي يأتي بالباطل . وقد تلمس في المثل سمات السخرية منها :

- الجرس الصوتي ، واختيار نغمة (بق) المضاعفة ، وهي في العادة نجدها في صوتيات الطيور ، ومنها (غ ق) التي هي صوت الغراب ونغمته ولغته ، لذلك قالوا : نعيق الغراب ، أي صوت غاق غاق . وهي لغة ثقيلة على النطق ، لا تبتعد حركة النطق بها عن مخرج الحلق ، وهذا أثقل غريب غير مبين ، ليكون الناطق بها مدعاة للسخرية صراحة .

- كما أن سمة تكرار الصوت في التركيب الواحد يفيد عدم جدوى ، ويعلم بغياب المعنى ، ويلمح بخواء الإناء ، وفي ذلك سمة لا معنى ولا فائدة من هذه الأصوات . ومن شبه كلامه بهذا فهو مسخور منه ، ومحتقر في أعين الناس .

- لقد هيمن على النص صوت (القاف) بنسبة (4) ، ثم بعده صوتا (الباء) و (الزاي) مثنى مثنى ، وفي ذلك إشارة إلى لا معنى .

وكثيرا ما كانت العرب توظف هذه الأصوات في اللامعنى وفي الفضاءات الفارغة . و البقبة و الزقزقة هي أصوات مستوحاة من الطبيعة .

3- ((إن البغاث بأرضنا يستنسر))-

و البغاث من ضعاف الطير ، واستنسر صار كالنسر في القوة . وهو مثل صار يضرب للعزيز إذا نزل عنده ذليل عزبه وصار قويا بعد أن كان ضعيفا .

وسمة السخرية تظهر في التشبيه بالطير الضعيف يريد أن يكون نسرا قويا بما لم يفعل وبغير حق ، وهو في هذه الحال مدعاة للسخرية والاستجهال والاستهزاء .

- سمة السخرية في المثل :

وهي في تشبيه الضعيف بالبغاث ، وتشبيه الاستقواء بالاستنسر ، و النزول بالإنسان من مقام الإنسانية إلى مقام أنزل وأرذل ، وهو مقام البغاث (ضعاف الطير) . ومجرد إصاق مصطلح بغاث بالإنسان الضعيف هو في حد يفيد معنى السخرية منه و الضحك عليه استخفافا واستهزاء . وقد يتجلى لك الأمر بيانا حين تقابل صيغة المثل اللغوية بصيغة

بيانية تستهدف معناها ، فتقول : (إن الضعاف بأرضنا يستقون) . وهي جملة أولى واصفة ومقررة . ومجرد الاستبدال في خط المعنى نفسه يوحي بسمة السخرية . كما أنك مجرد ما تلقب الضعيف ببيغيث أو بغث أو بغاث ، تكون قد أبنت السخرية منه صراحة .

قال الله تعالى (وتنازوا بالألقاب) (62) ، حيث ذكر الآية في سياق السخرية ، لذلك قال قبلها (لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تنازوا بالألقاب بسئ الاسم الفسوق بعد الإيمان) (63) (الحجرات) ويمكنك القول بأن السخرية تفيد تخاطبا من الأعلى إلى الأدنى ، من مرسل إلى مرسل إليه على سبيل التحقير والاستجهال و التهوين المفضي إلى الضحك الناتج عن الاستصغار.

-- 4- ((إنك لا تجني من الشوك العنب))

أي إنك لا تجد عند ذي المنبت السوء جميلا . قاله الإمام علي كرم الله وجهه لرجل مدحه نفاقا . والمثل هذا هو تركيب يفيض برائحة السخرية ذا المنبت السوء بالشوك الدائم الأذى ، ذو الصورة المنبوذة لدى الفطرة الإنسانية . فضلا على أنه مني الحقارة و النذالة في عين الفطرة لكآبة منظره ولدوام أذاه وضره . فما تشبيهه بهذا النبات إلا لتحقيره و السخرية منه .

فالتشبيه بالشوك قمة في السخرية الجالبة للضحك ، الدافعة إلى الاستجهال على لغة الإمام الزمخشري . وقد يتجلى لك الأمر وضوحا لو قلت بدلها : (إنك لا تجني من ذي المنبت السوء العنب) ، وتبين لك ما تحمل مفردة (الشوك) من دلالات ومعاني قد لا تحملها كلمة (ذي المنبت السوء) . وقصة المثل تحكي أن صبيا رأى أباه يغرس شجرة عنب وبعد مدة رأى ثمار عنب لذيذة... فبادر الصبي تأسيا بأبيه فأخذ شجرة شوك فغرسها ، فلما رآه أبوه استغرب الفعل وقال لابنه : (إنك لا تجني من الشوك العنب) . فصارت هذه على إثرها مثلا ، أي لا تجد عند المنبت السوء جميلا . ويقال إن المثل هو من قول أكرم ، وقد أراد إذا ظلمت فاحذر الانتصار ، فإن الظلم لا يكسبك إلا مثل فعلك .).

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام السيوطي و ابن نعيم وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة قوله صلى الله عليه وسلم : (كما لا يجتنى من الشوك العنب ، كذلك لا

ينزل الفجار منازل الأبرار، فاسلكوا أي طريق شئتم ، فأى طريق سلكتم وردتم على أهله . (64).

والشوكة ما يخرج من الشجر أو النبات دقيقا صلبا محدد الرأس كالإبر . والعنب ثمر ناعم القشرة عصيري ينمو على شجرة خشبة - شجرة العنب . تظهر الأعناب في عنابد يوجد فيها عادة ما بين ست تمرات إلى ثلاث مائة ثمرة ، ومختلف الألوان والأذواق ، ويقال لثمرة الكرم نفسه ، الواحدة عنبة وجمعه أعناب ، قال تعالى : (ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون سكرا ورزقا حسنا) (65) (النحل) . واجتنى الثمرة : جناها ، تناولها من منبتها و التقطها . واجتنى العسل جمعه ، وأجنى فلان التمر مكنه من اجتنائه . كما يمكن قراءة خطاب المثل من جهة الجنابة ، فتقول : هذا ما جنى علي أبي وما جنيت على أحد . تقول : من صنع شرا جنى شوكا . ومن صنع خيرا جنى خيرا . فهما يتمشيان معا ، وتلك سنة الله في خلقه . وتقول أيضا :

- إنك لا تجني الخير من الشر . ولا تجني العنب من الشوك . حيث نجد في هذا الخطاب (الصيغة التركيبية) معادلة الضدين الذين لا يجتمعان ، الشوك والعنب . وهو الأمر الذي أكده القرآن الكريم في أكثر من موضع ، ومنه قوله تعالى : (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) (66) .

--5-- ((مواعيد عرقوب))--

قال أبو عبيد : هو رجل من العماليق أتاه أخ له يسأله فقال له عرقوب : إذا أطلعت هذه النخلة فلك طلعتها . فلما اطلعت أتاه للعدة ، فقال له : دعها حتى تصير بلحا ، فلما أبلحت ، قال : دعها حتى تصير زهوا ، فلما زهت ، قال : دعها حتى تصير رطبا ، فلما أرطبت ، قال : دعها حتى تصير تمرا ، فلما أتمرت عمد إليها عرقوب من الليل فجذها ولم يعط أخاه شيئا ، فصار مثلا في الخلف . وفيه قال الأشجعي :

-- وعدت وكان الخلف منك سجية - مواعيد عرقوب أخاه بيثرب ---

ويروى بيثرب وهي مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويثرب - بالتاء وفتح الراء - موضع قريب من اليمامة . وقال كعب بن زهير :

-- كانت مواعيد عرقوب لها مثلا - وما مواعيدها إلا أباطيل - (67)

(كتاب مجمع الأمثال - مختارات - تحقيق محمد علي قاسم ص 152).

والنص مثل يضرب في الخلف الذي يوماً له بعدم الوفاء ، وهو يقوى على حمل معنى منه قريب كمعنى الكذب و النفاق الذي هو الوعد والخلف .

- وصيغة المثل اللغوية (مواعيد عرقوب) هي جملة اسمية غير تامة ، إذ ينقصها الجزء المتم الفائدة ، وهو الخبر ، لأنها في هذه الحالة توجب علينا طرح السؤال التالي : ما بها ؟ ، ما صفاتها ؟ وما لها ؟ وما عليها ؟ . غير أن طبيعة هذه الصيغة الناقصة التامة توحى بأشياء نستنبطها من محيطها و مقامها ومقتضى حالها ، وسبب إيرادها . ونقصان الصيغة هذه خطأ ، أي من جهة الشكل الظاهر يلزمه تأويل ، وهي أيضاً حاملة بهذه الصورة معاني ودلالات ذات أهمية وما كانت لتكون وتستخلص إلا بهذا الشكل الظاهر الناقص التام .

فانتفاء الصفة أو الخبر من صيغة المثل على رسوخ صفة الخلف وتجذرها في شخص عرقوب ، حتى كأنها صارت جزءاً من كيانه ، فلا يذكر (عرقوب) إلا والخلف حاضر باليقين ، ويجلي هذا المعنى قول الشاعر كعب بن زهير في قصيدة (بانث سعاد):

(كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً -- وما مواعيد عرقوب إلا أباطيل) .

وكان بهذه الصيغة الناقصة التامة (مواعيد عرقوب) توحى في المقابل باستئصال خلق الوفاء بالوعد من كيان عرقوب ، أي صار كأنهما عدوان لدودان لا يلتقيان كالشيء وضده .

ذلك أن الناس جميعاً لم يعرفوا عنه صدقاً ولا وفاء بعهد في حياته كلها . فلما صار عند الناس كذلك ، من حيث لا يخفى خلف الوعد عند أحد منهم ، صار لا مدعاة وجدوى من ذكر صفة الخلف ، فهم على علم بذلك يقينا . فكأن عرقوب هو الخلف عينه ، وكأن الخلف هو عرقوب ذاته . لذلك قالوا : (مواعيد عرقوب) ، والأصل برأينا (مواعيد عرقوب خلف) . وحذفها (الصفة) في هذا المقام يدل أكثر من ذكرها ، يقول الإمام الجرجاني : (هذا باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الفائدة أزيد للفائدة ، وتجدر أن نطق ما تكون ، إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبين) . (68) (الدلائل ص 103 دار قتيبة) .

ولو ذكرت في الصيغة ما قطعت ولا جزمت بنسبة الخلف كاملة ، وربما أشركت معها صفة الوفاء بالوعد ولو بنسبة ضئيلة جدا . وحذفها في هذا المقام كما يحمل هذه المعاني ، يحمل دلالة السخرية والاستهزاء والاحتقار والاستخفاف والاستجهال الباعثة على الضحك عليه ، لأن صفة كهذه تنبذها الفطرة البشرية وتمجها الأنفس وتبغض فاعلها وتجلب السخرية منه .

- الخاتمة :

وبعد فإن كانوا قد قالوا : عندما يعجز الجد عن البيان تسارع السخرية في التعبير. فإنه بذلك تكون السخرية هي طريق الممهد للتعبير عن الجوانب الانتقادية والنقائص المجتمعية بلغة ممزوجة بالضحك الناتج عن الآلام والأوجاع والمضايقات الشديدة ، وعلية فلغتها هي نوع من أنواع اللغة الأدبية ، وهي لغة ناطقة للغالبية الصامتة ، لذلك وصفوا لغة السخرية بأنها مرة سامة من الداخل وحلوة عذبة في الخارج . وتأخذ السخرية في الأمثال العربية مكانة كبيرة ، وقد تكاد تحكم بأنها فن خرج من رحم الأمثال ذاتها . ألم تكن الأمثال فنا نبيلاً ممدوداً جاء لرسالة شريفة تهدف رأساً مواجهة العفونات والأوساخ والانحرافات والآفات والأزمات في كل المجتمعات ؟ ألم تكن هذه هي عين رسالة في السخرية في المعارف الأدبية ؟

ألم تكن لغة الأمثال و السخرية لغة رسالية هادفة إلى تصحيح وتوجيه وترشيد وبناء مجتمعات الفضيلة حضارات القيم ؟

هوامش البحث:

- القرآن الكريم -برواية ورش عن نافع -دار المعرفة - ط 9- 1428هـ- دمشق .
- 1-اللسان العربي وقضايا العصر-عمار ساسي - ص17- عالم الكتب الحديث 2009. وأسرار اللسان العربي - جعفر دك الباب - ص808- الأهالي -دمشق-1990-ط 1.
- 2-الجائية 11-13.
- 3-هود 38.
- 4-مقاييس اللغة - أحمد بن فارس - ج3- ص144- تحقيق عبد السلام محمد هارون - دار الفكر .
- 5-الجائية 11-13.
- 6-إبراهيم 33.
- 7-الزخرف32.
- 8- هود 38.
- 9- الصافات 12.
- 10-المؤمنون 110.
- 11- ص62-63.
- 12- المؤمنون 110.
- 13- معجم مفردات ألفاظ القرآن - الراغب الأصفهاني - ص 232-233- تحقيق نديم مرغشي - دارالكاتب العربي .
- 14- الحجرات 11.
- 15- المؤمنون 110.
- 16- لسان العرب- ابن منظور - ج 2 - ص 114- 115- إعداد وتصنيف يوسف الخياط - دار لسان العرب - بيروت .
- 17-الحجرات 11.
- 18- من ديوان الفرزدق - قصيدة مطلعها (إن الذي سسمك السماء بنى لنا - بيتا دعائه أعز وأطول) ، في هجاء جرير في شعر النقااض - الدخول بتاريخ 30-12-2016.com. الموسوعة العالمية للشعر العربي
- 19-إبراهيم 31-32.
- 20-النحل 12.
- 21-الجائية 11-13.
- 22-الحجرات11.
- 23-هود 38.
- 24-تفسير الكشاف - الزمخشري - ج2 - ص 268 - دار الفكر .
- 25-الإسراء 24.
- 26المعارج 44.
- 27 آل عمران112.
- 28-الأعراف 152.
- 29-البقرة 71.
- 30-المائدة 54.
- 31- النحل 69.
- 32- الإنسان 14.
- 33-معجم مفردات ألفاظ القرآن - الراغب الأصفهاني -ص182- 183. دار الكاتب العربي .
- 34-السخرية في أدب الجاحظ - السيد الحلیم محمود حسین -ص93- دار الجماهيرية 1988.- ويكيبيديا الموسوعة الحرة - الدخول بتاريخ 25-12-2016.
- 35- كتاب البخلاء - الجاحظ - تقديم محمد علي أبو العباس - ط 1 - ص 46- دار الكتب المصرية .
- 36-السخرية في أدب الجاحظ -السيد عبد الحلیم محمد حسین - ص 102 - ويكيبيديا - الموسوعة الحرة - الدخول 25-12-2016..

- 37-المرجع نفسه - ص103.
- 38- المرجع نفسه - ص128.
- 39-المرجع نفسه - ص129.
- 40- الفهرست - ابن النديم محمد بن إسحاق أبو الفرج - ص 170 -
- 41-السخرية لغتها وأشكالها ودوافعها - أبو القاسم ردفر-جامعة آزاد الإسلامية -جيرفت - 2011- الدخول بتاريخ 20 -
- http //www.shomosnews.com/58718-2 2016-12
- 42- المرجع نفسه - الموقع نفسه -التاريخ نفسه .
- 43-المرجع نفسه .
- 44-السخرية في الأدب العربي حتى القرن الرابع الهجري - د نعمان محمد أمين طه - ط1- 1978- دار التوفيقية للطباعة الأزهر -
- www.alsakher.com
- 45-المرجع نفسه - الموقع نفسه - الدخول بتاريخ 25-11-2016.
- 46- المرجع نفسه -الموقع نفسه - التاريخ نفسه .
- 47- الأنعام 01.
- 48-السخرية في الأدب العربي حتى القرن الرابع الهجري -نعمان محمد أمين طه -
- www.alsakher.com
- 49-المرجع نفسه - الموقع نفسه .
- 50-المرجع نفسه - الموقع نفسه .
- 51-حديث نبوي شريف - متفق عليه - عن أبي هريرة رضي الله عنهما .
- 52-الروم 30.
- 53-يوسف -53.
- 54-التوبة 102.
- 55-الشمس 07.
- 56-العنكبوت43.
- 57-معجم مفردات ألفاظ القرآن - الراغب الأصفهاني - ص481-482.
- 58-الأمثال في القرآن الكريم - محمد شاهد يامين - (موقع صيد الفوائد (Said.net))
- 59-أسرار البلاغة - عبد القاهر الجرجاني -ص101-102.
- 60-الأمثال في القرآن الكريم -محمد شاهد يامين- موقع صيد الفوائد Said.net
- 61- مفتاح العلوم - الإمام السكاكي - ص 73. دار الكتب العلمية .
- 62-الحجرات 11.
- 63-الحجرات11.
- 64-أخرجه الإمام السيوطي وأبن نعيم و ذكره الألباني في السلسلة الصحيحة .
- 65-النحل 67.
- 66-فصلت66.
- 67-كتاب مجمع الأمثال - مختارات - تحقيق محمد علي قاسم - ص152.
- 68-دلائل الإعجاز -الجرجاني عبد القاهر - ص103- دار قتيبة .